سلسلة كتيبات شبكة بينونة

فضل قضاء حوائج المسلمين

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

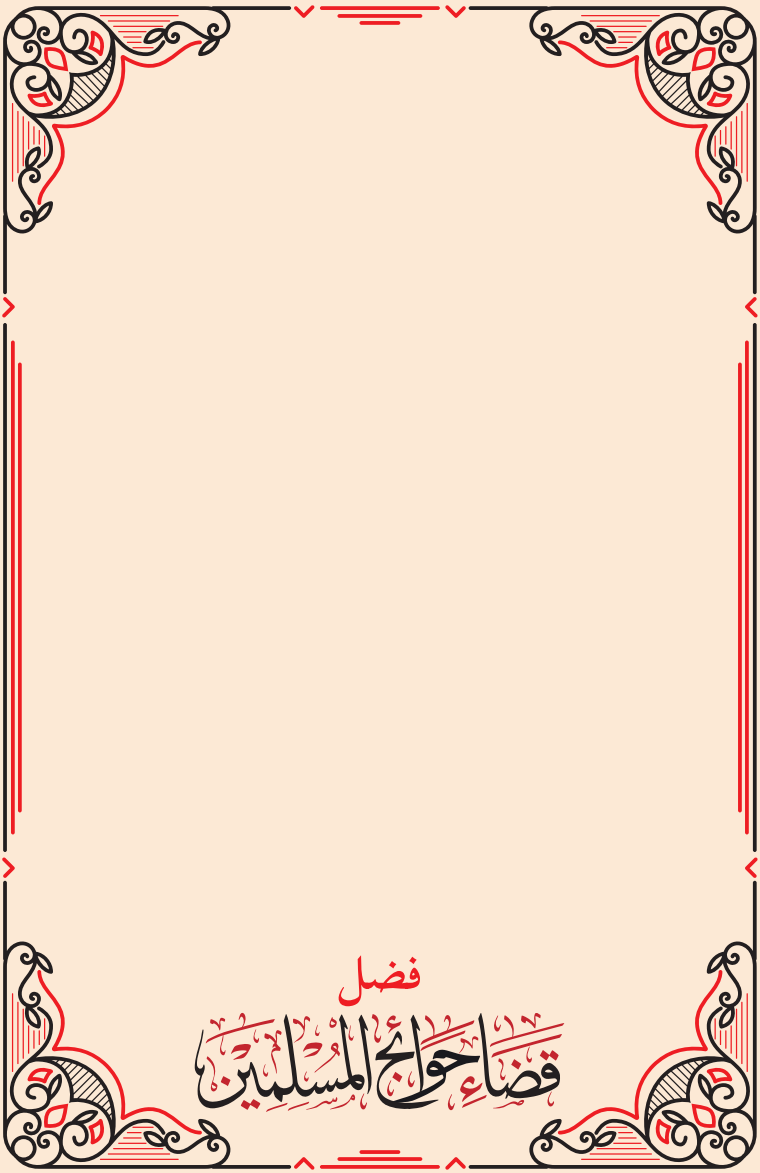

فضل

قضاء حوائج المسلمين

فضل
قضاء حوائج المسلمين

الشيخ
د. عبد الرحمن بن سليمان الحمادي

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من الكتب

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet
www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فبين يديك أيها القارئ الكريم، مادة علمية، أصلها محاضرة ألقيتها مساء السبت في ٢٥ من شهر رجب لعام ١٤٤٣ه الموافق ١٨ من يونيو ٢٠٢٢م عبر أثير إذاعتي مركز رياض الصالحين الإسلامي بدبي، وشبكة بينونة للعلوم الشرعية بأبوظبي بارك الله في القائمين والمنظمين وأجزل لهم المثوبة.

أخي القارئ، أختي القارئة!

حديثنا عن أدبٍ إسلاميٍّ رفيع، وخُلُقٍ عظيم، حث عليه ديننا الحنيف، ورتّب عليه الأجر الكبير لمن قصده خالصًا لوجه الله تعالىٰ، ألا وهو السعي والبذل في «**قضاء حوائج الناس**»، ذلك الأدب والخُلق الذي يدل علىٰ طيب معدن صاحبه، وعلو رتبة أخلاقه، وحبّه لفعل الخير، وعنوان للفلاح.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

● **المقصود بالحوائج؟**

الحاجة هنا: ما يحتاج إليه الإنسان يكمّل به أموره، وحياته، بحيث لو تركه لحقه مشقة وحرج. وهو بخلاف الضرورة التي يضطر إليها الإنسان، بحيث لو تركها لحقه الضرر في حياته أو دينه ونحو ذلك.

فدفع الضرر عن المسلم واجب، ومن فرّط في مساعدته مع قدرته عليه لحقه الإثم والتّبعة، حيث قرر أهل العلم أنه: لو اضطُر الإنسان إلىٰ طعام أو شراب في يد شخص، وهذا الشخص في سعة من أمره، ولكنه منعه بعد طلبه، ومات، فإنه يضمنه؛ لأنه فرط في إنقاذ أخيه من هلكة.

أما إذا كان الأمر حاجيًّا وليس ضروريًا، فإن إعانة أخيك علىٰ حاجته فضيلة من فضائل الأعمال، عليك أن تيسرها له ما لم تكن الحاجة في مضرته، فإن كانت الحاجة في مضرته فلا تعنه؛ لأن الله يقول؛ ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

● **قضاء حوائج الناس بابٌ من البر والتعاون:**

إن قضاء حوائج الناس من البِر والتقوىٰ، فهو داخل في قول الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «**أي ليعن بعضكم بعضًا علىٰ البر، وهو اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين**».

● **قضاء حوائج الناس بابٌ من الإحسان:**

لقد أمر الله بالإحسان فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]. وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، ومنها قضاء حوائج الناس.

والسعي في قضاء حوائج الناس لا يقتصر علىٰ النفع المادي فقط، ولكنه يتنوع أيضًا ويمتد ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالمشورة والنصيحة، والنفع بالجاه والمنصب.

قال الإمام السعدي في تفسير الآية: «**ويدخل فيه - أي الإحسان -: الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك،**

ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم النافع، ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم وإزالة شِداتهم، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإرشاد ضالهم، وإعانة من يعمل عملا، والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك، مما هو من الإحسان الذي أمر الله به». ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **« فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ وكان الله معه يسدده ويرشده ويعينه علىٰ كل أموره»** ا.ه.

فدلت الآيات الكريمة علىٰ أن قضاء حوائج الناس من الإحسان الذي يُحبه الله عز وجل، ويجازي عليه بالإحسان منه سبحانه وتعالىٰ.

● **فضل الشفاعة لقضاء حوائج الناس:**

السعي في قضاء حوائج الناس من الشفاعة الحسنة التي أمرنا الله تعالىٰ بها في قوله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ [النساء: ٨٥]، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**من سعىٰ في أمر فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك**».

وعن أَبِي بردة بن أبي مُوسَىٰ، عَنْ أَبِيهِ، قال: كان رَسُولُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قال: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا**»، ويقْضِي الله عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ. [أخرجه البخاري ومسلم].

● **قضاء حوائج الناس عمل يُحبه الله:**

ففي الحديث عن عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ الناسِ إلىٰ اللهِ أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدخِلُه علىٰ مسلم، تكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا، ولأَنْ أمشيَ مع أَخٍ في حاجةٍ؛ أَحَبُّ**

إليَّ من أن اعتكِفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهرًا، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يُمضِيَه أمضاه؛ ملأ اللهُ قلبَه يومَ القيامةِ رِضًا، ومن مشىٰ مع أخيه في حاجةٍ حتىٰ يَقضِيَها له؛ ثبَّتَ اللهُ قدمَيه يومَ تزولُ الأقدامُ » [أخرجه الطبراني وغيره وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب].

● **فضل قضاء حوائج الناس الجزاء من جنس العمل:**

حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسْلمه. من كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة؛ فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا؛ ستره الله يوم القيامة** » متفق عليه.

« **لا يُسْلمه** »؛ أي: لا يَخذله، ولا يتركه مع مَن يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه.

وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ:

«مَنْ نَفَّس عن مُؤمنٍ كُرْبة من كُرب الدُّنْيا، نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب يوم القيامَةِ، ومن يسَّرَ علىٰ مُعْسرٍ يسَّرَ الله عليه في الدُّنْيَا والآخِرةِ، ومن سَتَر مسلمًا سَترهُ الله في الدنْيا وَالآخِرَةِ، والله في عونِ العبْد مَا كانَ العبْدُ في عون أَخيهِ، ومن سَلَكَ طريقًا يلتمسُ فيهِ عِلْمًا سهَّل الله لهُ به طَريقًا إِلَىٰ الجنَّة. وَمَا اجْتَمَعَ قوْمٌ في بيتٍ من بُيُوتِ الله تعالَىٰ، يتْلُون كِتَابَ الله، ويَتَدارسُونهُ بيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمةُ، وحفَّتْهُمُ الملائكَةُ، وذكَرهُمُ الله فيمَنْ عِندَهُ. ومنْ بَطَّأَ بِهِ عَملُهُ لمْ يُسرعْ به نَسَبُهُ» [رواه مسلم].

قال ابن دقيق العيد في شرح الحديث: «**هذا حديثٌ عظيمٌ جامعٌ لأنواعٍ من العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعِهم بما يتيسر من عِلم، أو مال، أو معاونة، أو إشارة بمصلحة، أو نصيحة أو غير ذلك**».

ومعنىٰ تنفيس الكُربة: إزالتها.

وقوله: «**ومن يسَّرَ علىٰ مُعْسرٍ يسَّرَ الله عليه في الدُّنْيَا والآخِرةِ**»، أي أنك إذا رأيت معسراً، ويسرت عليه أمره، جازاك الله بهذا الصنيع ويسر عليك ليس في الدنيا فقط؛ بل وفي الآخرة. فما أعظمه من جزاء.

ولكم في تطبيق هذا أمثلة كثيرة، منها أن ترىٰ شخصًا ضاقت به النفقة، وليس بيده ما يشتري لأهله من طعام وشراب، ولم تبلغ رتبة الضرورة، فأنت إذا يسرت عليه؛ يسر الله عليك في الدنيا والآخرة.

ومن ذلك أيضًا إذا كنت تطلب شخصًا معسرًا؛ فإنه عليك أن تيسر عليه وتمهله، بل إن أهل العلم قالوا: يجيب عليك أن تُمهله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، قال العلماء في استدلالا بهذه الآية: من كان له غريم معسر؛ فإنه يحرم عليه أن يطلب منه الدّين، أو أن يطالبه به، أو أن يرفع أمره إلىٰ الحاكم؛ بل يجب عليه إنظاره.

ومن تمادي بعض الناس ممن يطالبون المعسرين، أن يصل بهم الحال أن يضيقوا علىٰ المُعسِرين، ويرفعونهم إلىٰ الجهة المسؤولة فيُحبسون ويؤذَون في عملهم، ويُمنعون من أهلهم ومن ديارهم، كل هذا بسبب ظلم هؤلاء، ممن لا يخافون الله، ولا يرحمون عباد الله.

فعلىٰ الدائن أن يتقي الله عز وجل، فإن فعله هذا حرام عليه؛ وأنه يجب عليه إنظار المعسر إذا ثبت إعسارُه؛ ويمتثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وأنه إذا ضيق علىٰ أخيه المسلم، فإنه يوشك أن يضيق الله عليه في الدنيا أو في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة معًا، ويوشك أن يعجل له بالعقوبة، ومن العقوبة أن يستمر في مطالبة هذا المعسر وهو معسر؛ لأنه كلما طالبه ازداد إثمًا**».

● **قضاء حوائج الناس صدقة:**

إن السعي في قضاء حوائج الناس من المعروف، وهو من أنواع الصدقات، فعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: « **كل معروف صدقة** » [رواه البخاري ومسلم].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ما عرف في الشرع حُسنه إن كان مما يتعبد به لله، وإن كان مما يتعامل به الناس فهو مما تعارف الناس علىٰ حُسنه، وهذا الحديث « كل معروف » يشمل هذا وهذا، فكل عمل تتعبد به إلىٰ الله فإنه صدقة إلىٰ أن قال: - وأما ما يتعارف عليه الناس علىٰ حُسنه مما يتعلق بالمعاملة بين الناس فهو معروف، مثل الإحسان إلىٰ الخلق بالمال، أو بالجاه، أو بغير ذلك من أنواع الإحسان. وقوله: « كل معروف »؛ أي: ما عُرِف من جملة الخيرات من عطية مال أو خلق حسنٍ، أو ما عُرِف فيه رضا الله من الأقوال والأفعال**» ا.ه.

قوله: «**صدقة**»؛ أي: ثوابه كثواب الصدقة.

● **قضاء حوائج الناس نعمة:**

إنّ الذي يُسخر نفسه لقضاء حوائج الناس لهو مفتاحٌ من مفاتيح الخير والإحسان، وإنها لنعمة من نعم الله تعالىٰ علىٰ العبد المسلم، فعن سهل بن سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**عِنْدَ اللهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَىٰ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِغْلاقًا لِلْخَيْرِ**». أخرجه ابن ماجة وغيره [حسنه الألباني].

وعن ابنِ عُمَرَ، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَىٰ غَيْرِهِمْ**» أخرجه الطبراني وغيره. قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: «**حسن لغيره**».

نسأل الله عز وجل أن يسخرنا في قضاء حوائج الناس ابتغاء لمرضاته سبحانه وأن يتقبل منا أعمالنا.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

حقوق الطبع محفوظة

شبكة بينونة العلوم الشرعية